طيب الإخبار بما أصاب الإنسان من مصيبة دون التشكي أيجوز هـذا أو لا ؟

يجوز هذا, وقع هذا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : **(بل أنـا وا رأساه)** ولا حرج, يعني هنـاك فرقـا بيـن شـخص يتكلـم بمـا أصـابه تسخطا أو شكاية لمخلوق وبين شخص يخبر عما أصابه فقط مجرد خبر, والأعمال بالنيات.

الثاني : حبس الجوارح عند المصيبة عن فعل ما لا يجوز, ومـا ينـبئ عـن الغضب, مثل شق الجيوب, لطم الخدود, نف الشعور, ومـا أشـبه ذلـك, هذا أيضا مناف للصبر, ولهذا تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم مـن فـاعله فقال : **(ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعـا بـدعوى الجاهلية)**

الثالث: وهو حبس القلب عن كراهة ما قدر الله عز وجل, وهذا أعظمهـا وأدقها, قد ير الإنسان الضعيف المخلوق المملـوك المـدبر, قـد يـرى أن ربه ظلمه والعياذ بالله دون أن يتكلم ودون أن يفعـل, لكـن قلبـه مملـوء على الله من السخط ورؤية أن الله تعالى ظلمه أو مـا أشـبه ذلـك, هـذا يجب أيضا أن يتخلى القلب عنه, وهـذا أخطـر مـا يكـون بالنسـبة للصـبر على الأقدار.

اتل قول الله عز وجل : **((ومن الناس من يعبد الله على حرف))** حرف يعني طرف, ما هي عبادة راسخة **((فإن أصابه خيـر اطمـأن به وإن أصابته فتنة انقلب علـى وجهـه خسـر الـدنيا والآخـرة ذلك هـو الخسـران المـبين))** وهـذا يشـمل فتنـة المصـائب وفتنـة الشبهات, من الناس من يؤمن بالله واليوم الآخر لكنـه علـى طـرف, إن أصابه خير ولا ناقشه أحد ولا جادله أحد مشي, وإن جاء أحد يشككه فـي هذا الأمر شك, فانقلب على وجهه, خسر الدنيا والآخرة, من الناس أيضا من يكون في نعمة قد أنعم الله عليه بالأموال والأولاد وما يحتاج إليه من الدنيا أو يكملها, فأصيب بحادث فقد أهله بـه كلهـم, مـن النـاس مـن إذا كان يعبد الله على حرف يسخط على الله, يكره قضاء الله كراهة سخط ما هو كراهة أنه يتمنى أنه لم يصبه, لا يتسخط على ربه, وهذا مـن جهـل الإنسان, أنت ملـك للـه عـز وجـل, هـذا الـرب الكريـم الـذي إذا أصـابك بسراء فشكرت أثابك, وإن أصابك بضراء فصبرت أثابـك, كيـف تسـخط على هذا الرب الكريم وأنـت ملكـه وعبـده يتصـرف فيـك بمـا شـاء ولـه الحكمة فيما فعل ؟ وظيفتك الصبر عند البلاء, والشكر عند الرخاء.

فالمهم أن الصبر الآن تـبين أنـه ثلاثـة أقسـام: الأول أعلاهـا وأتمهـا وهـو الصبر على طاعة الله, الثاني الصـبر عـن معصـية اللـه, والثـالث الصـبر على أقدار الله, وأفضلها الأول ثم الثاني ثم الثالث.

يوسف عليه السلام أصيب ببلاء في خلقه وبلاء فـي جسـده, صـبر علـى هذا وهذا, دعته امرأة العزيز في مكان مغلق وهي امـرأة العزيـز عنـدها من الحلي والزينة وربما الجمال ما ليس عند غيرها وهو فتاهـا أيضـا, مـا هو أكبر منها شرفا عندها, دعتـه إلـى نفسـها فـي مكـان خـال, وهـم أن يفعل لأن النفس البشرية قد يغيب عنها ملاحظة أمر الربوبيـة, فهـم بهـا لكن هي السابقة همت به وهم بها, لكن بعد أن هم رأى برهـان اللـه عـز وجـل, أراه اللـه البرهـان الآيـة كأنهـا رؤيـا عيـن فـامتنع, وقـال: **((رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليـه))** هـذا صـبر عـن المعصـية, وصبر عظيم, فتى شاب مع سيدته الجميلة في مكان لا يطلع عليه أحــد, ومع هذا كف عنها, وأوذي في جسده حبس سجن, لبث في السجن بضع سنين ومع ذلك صبر, حتى إن الملك لمـا قـال ائتـوني بـه أبـى أن يخـرج حتى تسأل النسوة ماذا حصل ؟ ليتبين براءته قبل أن يخرج, وهذا لا شك صبر عظيم, لكن أي الصبرين أعظم ؟ الأول, الصـبر عـن المعصـية, لأن السجن حاصل حاصل صبر أو ما صبر وليس باختياره.

قول الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام: **((فاصبر))** يتضمن كل الأقسام, ولهذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم أصـبر النـاس فـي أحكـام الله وأصبر الناس على أحكـام اللـه, وقـوله: **((إن وعد اللـه حـق))** هذه جملة مؤكدة بأن وعد الله حق.

ويقـول المؤلـف رحمـه اللـه تعـالى: **" ((إن وعد اللـه)) بعـذابهم ((حق)) "** وهذا قصور من المؤلف رحمه الله تعالى, بل إن وعـد اللـه بعذابهم ونصرك حق, بل لو قلنا بأنه أعم من ذلك أيضا لولا أنه في سياق المحاجة مع الكفار لقلنا أنه أعم **((إن وعد الله حق))** في كل شيء, في عذاب هؤلاء ونصرك وفي الجنة وفي كل شيء.

وقوله: **((حق))** أي أمر ثابت واقع, فكل ما وعد الله به فهو حق ثـابت واقع لكمال صدقه وكمال قدرته؛ لماذا قلنا هذا ؟ لأن إخلاف الوعد يـأتي من أحد أمرين: إما كذب الواعد وإما عجزه عن تنفيذ ما وعـد بـه, واللـه عز وجل لا يخلف الميعاد لكمال صدقه وكمال قدرته.

((إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعـدهم أو نتوفينـك فإلينا يرجعون)) **((فإما نرينك))** يقـول المؤلـف فـي إعرابهـا: "

فيه إن الشرطية مدغمة وما زائـدة تؤكـد معنـى الشـرط أول الفعل والنون تؤكد آخره " إلى آخره؛ ((فإمـا نرينـك)) الفـاء هـذه عاطفة, وإن شرطية, وما زائدة للتوكيد وهي كزيادتها فـي قـوله تعـالى: **((أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى))** أيامـا: مـا زائـدة لـو حـذفت وقيل: أيا تـدعوا, لاسـتقام الكلام, لكـن يـؤتى بحـروف الزيـادة للتوكيـد **((إما نرينك))** لو حذفت ما وقال: إن نرينك, استقام, لكنهـا تـأتي مـا للتوكيد.

((إما نرينك)) نري فعل مضارع لكنه بني على فتح آخـره وهـي اليـاء لاتصاله بنون التوكيد, والنون للتوكيد, والكاف مفعول به طيـب. التوكيـد هنا في آخر الكلام, و (ما) في أولـه فصـار هـذا الفعـل الـذي هـو الإراءة مؤكدا بمؤكدين: ما الزائدة في أولـه ونـون التوكيـد فـي آخـره؛ والكـاف هذه مفعول أول وبعض مفعول ثان, ونري هنا من باب كسـا, لأن الرؤيـة هنا بصرية, لكن لما دخلت عليها التعدية صارت ناصبة مفعـولين, تقـول: فلان رأى النجـم, نصـبت واحـد؛ فلان أريتـه النجـم, مفعـولين مـن أجـل دخول الهمـزة علـى رأى, هـذه مثلهـا لأن نـري ربـاعي أصـلها أرى يـري ونري.

((فإما نرينك بعض الذي نعـدهم)) يعنـي فـأنت تـراه **" ((فإمـا نرينك بعض الذي نعدهم)) به من العذاب في حياتـك وجـواب الشرط محذوف أي فذاك "** جـواب الشـرط إن فـي قـوله: **((إمـا نرينك))** يعني إن أريناك بعض الذي نعدهم فقد رأيته بعينـك وأقـر اللـه عينك به, وهذا هـو المطلـوب **((أو نتوفينك))** يعنـي قبـل أن نرينـك **((فإلينا يرجعون))** وسنريك بهـم, هـذا تهديـد عظيـم وقـوله: **((أو نتوفينك))** هذه معطوفـة علـى نرينـك, وهـي قسـيم قـوله: **((فإما نرينك))** يعني إما أن ترى العذاب قبل موتك وإما أن نتوفاك ثم نعذبهم بعد الرجوع إلينا, وهذا أشد فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى, ولهذا جاء في الحديث أن الله سبحانه وتعالى إذا أحب شخصـا عجـل لـه بالعقوبـة فـي الدنيا بماله أو بـدنه أو أهلـه أو مجتمعـه, وإلا تركـه حـتى يـوافي بـه يـوم القيامة.

" ((أو نتوفينـك فإلينـا يرجـون)) فنعـذبهم أشـد العـذاب, فالجواب المذكور للمحذوف فقط " أيـن المحـذوف ؟ أو نتوفينـك يعني: إذا توفيناه فإلينا يرجعون.

في هذه الآية الكريمة وجوب الصبر لأن اللـه تعـالى أمـر بـه فـي قـوله:

((فاصبر)) ووجه كونه واجبا لأن الأصل في الأمر الوجوب.
وهذه المسألة اختلف فيها الأصوليون هل الأصل في الأمر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الوجوب أو الأصل الندب ؟
إن قلنا: الأصل الوجوب كان هذا المأمور به ملزما به, وإذا قلنا الندب صار الإنسان بالخيار, إن فعله فهو خير وإن تركه فلا شيء عليه, وهذا عند التطبيق محل إشكال, وعند التدليل أيضا فيه نظر, وهذه مسألة من أصول الفقه نبحثها ...
الأصوليون اختلفوا في الأمر هل هو للوجوب أو الندب ؟ والمراد الأمر المطلق المجرد عن القرينة, أما ما دلت عليه القرينة فالأمر فيه واضح, إن دلت على الوجوب فهو واجب, وإن دلت على الاستحباب فهو مستحب, وإن دلت على الإباحة فهو مباح, وإن دلت على التهديد فهو للتهديد: **((اعملوا ما شئتم))** المعنى ؟ التهديد, **((فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)).**
لكن المراد الأمر المجرد عن كل قرينة هل هو للوجوب أو للاستحباب ؟ من العلماء من قال أنه للوجوب, ولهم أدلة, ومنهم من قال أنه للاستحباب ولهم أدلة.
القائلون بالوجوب يستدلون بمثل قوله تعالى : **((فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم))**
قالوا هذا يدل على الوعيد فيمن خالف أمر الله عز وجل, فيدل إذن على أن الأمر للوجوب, وقالوا أيضا إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **(ما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)** وهذا أيضا يدل على الوجوب لأنه قال: **(ائتوا ما استطعتم)** ومثل هذا التعبير إنما يكون في الواجب **(وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)** ولأنه يقبح عادة أن يقول السيد لعبده افعل كذا ثم يخالفه, فتكون مخالفة الأمر قبيحة والقبيح منهي عنه مكروه.
أما القائلون بأن الأصل في الأمر الاستحباب فيقولون: إن كونه مأمورا به يدل على فعله, والأصل براءة الذمة, فلا نأثم الإنسان إذا ترك ما أمر به إلا بدليل, ولأننا وجدنا مسائل كثيرة وأدلة كثرة فيها الأمر أجمع العلماء على أنها للاستحباب, وهذا يوهن القول بأن الأمر للوجوب.
توسط قوم فقالوا: إذا كان الأمر في عبادة فهو للوجوب وإذا كان في آداب فهو للاستحباب, وهذا أقرب من الإطلاق بأنه للوجوب أو الإطلاق بأنه للاستحباب, يعني هذا التفصيل هو أقرب ما يكون ومع هذا فليس

بمنضبط, بل قد تأتي أوامر في الآداب وهي واجبة.
فعلى كل حال نقول: أقرب ما يقال في هذه المسألة أن الأصل في الأوامر في التعبد الوجوب لأنا خلقنا للعبادة وأمرنا بها فنتعبد, والأصل في الأوامر في غير العبادة كالآداب مثلا هذا للاستحباب, ومثل ذلك يقال في النهي هل هو للتحريم أو للكراهة.
ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات وقوع وعد الله عز وجل, وأنه حق ولابد أن يقع, لقوله : **((إن وعد الله حق))** وهذه جملة مؤكدة بـ إن تدل على أن وعد الله لابد أن يقع طيب.
هل وعيده كذلك ؟ نعم, حتى وعيده حق ولابد أن يقع, إلا أن يمن الله عز وجل بالعفو, وإلا فالأصل أن وعيده واقع, لا يقال كما قال بعض الناس: الوعيد ليس بواقع وليس بحق وأما الوعد فهو حق؛ نقول كله حق, لكن الوعيد قد يعفو الله سبحانه وتعالى عنه والعفو كرم.
ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات كلام الله أن الله يتكلم, تؤخذ من: **((إن وعد الله))** لأن الوعد يكون بالقول, ولا شك أن الله تعالى يتكلم, وأنه لا نفاذ لكلماته قال الله تبارك وتعالى: **((قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي))** البحر اسم جنس يعم كل البحار, لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله ـ سبحان الله ـ لو كان حبر يكتب به, البحار كلها لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله, وقال تعالى: **((وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ))** يعني لو أن الذي في الأرض من الشجر كان أقلاما **((وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ))** يعني وكتب بالأقلام بمداد البحر **((مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ))** [لقمان :27] وهذا يدل على عظمة الرب عز وجل لأنه مدبر الكون, وإذا أراد أمرا إنما يقول له كن فيكون, ولا منتهى لإرادة الله طيب.
وهل قول الله عز وجل قول مسموع يعني بصوت أو بلا صوت ؟ بصوت, لأن الله تعالى قال : **((وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا))** ولا نداء ومناجاة إلا بصوت, وورد الصوت صريحا فيما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول يوم القيامة: **(يا آدم فيقول: لبيك وسعديك, فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا من النار قال: يا رب وما بعث النار)** إلى آخره؛ هذا صريح بأن الله يكلم بصوت.
وهنا في هذه المسألة مذاهب نذكر منها المذاهب المشهورة الثلاثة:

أنه يتكلم بصوت مسموع وحرف غير مخلوق لأنه كلام,ه وهذا مذهب السلف وأئمة الخلف, فكلامه عز وجل هو اللفظ والمعنى.
والقول الثاني: أن الله تعالى يتكلم بصوت مسموع وحرف مخلوق, والكلام كلامه, وهذا مذهب الجهمية الذين يقولون: إن القرآن كلام الله لكنه مخلوق, لأن كل كلام الله عندهم مخلوق.
والثالث من يقولون أنه لا يتكلم بصوت ولا بحرف مخلوق, إنما كلامه هو المعنى القائم بنفسه, لكن يخلق شيئا يعبر عن هذا الذي في نفسه, فيسمع هذا المخلوق ويضاف إلى الله عز وجل إضافة تكريم وتشريف, وهذا مذهب الأشاعرة الذين هم أهل الكلام, والذين يقولون أنهم هم الذين دافعوا المعتزلة عن الباطل, وهم الذين انتصروا للإسلام, وهم في الحقيقة لا للإسلام انتصروا ولا لحرب الإسلام كسروا.
بل قد نقول قولهم في الكلام شر من قول الجهمية, لأنهم اتفقوا على أن ما يسمع من كلام الله مخلوق, وعلى أن القرآن مخلوق, لكن الجهمية يقولون مخلوق وهو كلام الله, وهؤلاء يقولون مخلوق وليس كلام الله بل هو عبارة عنه, وين كلام الله ؟ قالوا هو المعنى القائم بنفسه.
والحقيقة أن المعنى القائم بالنفس ليس كلاما وإنما هو علم، علم بما سيخلق من كلام فيقولون هذا هو كلامه, والعجيب أنهم استدلوا بآية وشعر:
أما الآية فقالوا إن الله تعالى يقول : **((ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول))** فأثبت القول النفسي.
أما الشعر فقالوا إن الشاعر قال:
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليل
الفؤاد يعني القلب.
فنقول لهم : أما الآية فلا دلالة فيها لكم بل هي على رؤوسكم, لأن الله تعالى لم يطلق القول بل قيده فقال : **((ويقولون في أنفسهم))** وهذا كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها)** وحديث النفس لا يمكن أن يقال إنه حديث ولا أن يقال أنه قول إلا بقيد, ولهذا لو حذفت في أنفسهم وقيل: ويقولون لولا يعذبنا الله, فيفهم منه كلام باللسان, لكن هم بأنفسهم يقدرون يقول الواحد منهم: لولا يعذبنا الله بما نقول, إذن ما نقوله حق لأن الله لم يعذبنا, هذا يقدره الإنسان في نفسه.

أما الشعر: **" إن الكلام لفي الفـؤاد "** فهـو قـول الأخطـل الشـاعر النصراني, قاله بعد تغير الألسن, وعلى فرض أنه موافـق فـإنه يجـب أن يحمل على أن المعنى إن الكلام المعتبر هو ما يقـدر أولا فـي الفـؤاد ثـم ينطق به اللسان, ولهذا يعتبر الكلام الـذي يسـبق علـى اللسـان لا يعتـبر كلاما ولا يؤاخذ به, فالكلام الحقيقي الرصين المعتبر هو الـذي يكـون أولا في القلب ثم يعبر عنه باللسان, هذا معنى البيت الذي لا يحتمل غيره.

الطالب : التسخط القلبي من أشد الأمور يقول بعضهم أن هذا أمر خارج عن طاقتي فأنا أكره هذا, لكن أجد في نفسي وأدافعه ومع هذا أجده ؟

الشيخ : هناك فرق بين كراهة المقدور وكراهة التقدير, كراهـة المقـدور من طبيعة الإنسان, كل يكره أن يصاب بأذى, لكن كراهة التقدير هذا هو المراد, أن تكره تقدير الله من حيث هو فعل اللـه, فيولـد لـك ذلـك أنـك ربما تبغض الله عز وجل ـ أعوذ بالله ـ يقول : ما هذا الرب ؟ كيـف يقـدر علي هذا التقدير ؟

أما كراهة المقدور فلابد منه, كل إنسان يصاب بما لا يلائم طبعـه سـوف يكره هذا الشيء.

لا تفكر أن إنسانا مؤمنا يكره ما قدر الله من حيث هـو تقـدير للـه, أبـدا, ألست أنت مملوكا لله كيف تكره هذا الشيء ؟ ألست أنت تذبـح بعيـرك وتأكله والبعير يكره هذا الشيء ؟ لكن هو ملكك, احذر أن تكـره تقـديره من حيث هو تقدير, أما من حيث هو مقدور فهذا شيء لابد منه.

الطالب : هل ما وقع في بدر يعتبر مما أراه الله لنبيه قبل موته ؟

الشيخ : نعم أراه قبل موته أشياء كثيرة, لكن الله عز وجل سلى رسوله قال: لابد أن يقع بهم ما وعدناك.

الطالب : هل يصح أن يقال أن الله قبل أن يخلق العـالم لـم يكـن يتكلـم لأنه لم يوجد مخاطب ؟

الشيخ : لا يجوز أن نقول هكذا, نقـول إن اللـه تعـالى لـم يـزل ولا يـزال متكلما, وهل يلزم أن يتكلم بمخاطبة مخلوق ؟ لا, قد يتكلم بما يثنـي بـه على نفسه, مثل أن يقول: أنا الله الواحد الأحد وما أشبه ذلك, كما يقول الله عز وجـل يـوم القيامـة: **((لمن الملك اليـوم))** مـا يجيبـه أحـد فيقول: **((لله الواحد القهار))** ...

نقول: الكلام صفة كمال, والله تعـالى موصـوف بالكمـال أزلا وأبـدا, ولا يلزم من هذا أن يكون هناك مخاطب, وكذلك الأفعال فالـذين مثلا أثـاروا مسألة التسلسل وما أشبه ذلك, هم بعيدون عـن النصـوص فـي الواقـع,

وإلا لو علموا أن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالا وأنه لم يكن في وقت من الأوقات معطلا عن الفعل, ولا يلزم من الفعل المفعول, حتى فينا لا يلزم من فعلنا أن يكون هناك مفعول, قد يتحرك الإنسان ولا ينتج شيئا, لكن الفعل يقال لا يمكن أن يمر على الله تعالى زمان من الأزمنة وهو معطل عن الفعل.

لأنه إما أن يقال تعطله هذا عن عجز أو عن غير عجز, فإن قلنا عن عجز فهذا بلية, وإن قلنا عن غير عجز نقول: ما الذي يمنعه, إذا فالتسلسل ليس بممنوع في الماضي كما أنه ليس ممنوعا في المستقبل, مع أني أنا أكره أن يتكلم الناس في هذا لأنه كلام لا فائدة منه, ولم يكن السلف يقولون به, لكن جاءنا أهل الكلام وأدخلونا في هذه المعمعة وصار ما كان.

الطالب : ... ؟

الشيخ : يجوز هذا وهذا, قدَّر الله هذا فعل ماضي, وقدُر الله خبر مبتدأ محذوف, والتقدير هذا قدر الله.

القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : **((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ))**.

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى : **((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ))**.

((فاصبر إن وعد الله حق)) .من فوائد الآية الكريمة: أن وعد الله حق ثابت لا بد أن يقع وهو كذلك, وقد صرح الله بذلك في قوله: **((إن الله لا يخلف الميعاد))**.

ومن فوائد الآية الكريمة: تهديد هؤلاء المكذبين للرسول عليه الصلاة والسلام بأحد أمرين: إما بعقوبة عاجلة قبل أن يتوفى, وإما بعقوبة آجلة في يوم القيامة لقوله : **((فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون))** .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن مرجع الأمور كلها إلى الله, وليست باختيار

أحد فهو الذي يقدر ما شاء سواء في الدنيا أو في الآخرة لقوله: **((فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك)).**

ومنها أن عذاب العدو يشفي غليل عده لقـوله: **((فإما نرينـك بعـض الذي نعدهم))** فإن الإنسان إذا رأى عذاب الله تعالى لعـدوه فلا شـك أنه يشفي غليله.

ومن فوائـدها أنـه لا بـأس أن نفـرح إذا أصـاب اللـه عـدونا بمصـيبة, لأن الظاهر أن قوله تعالى: **((فإما نرينك بعض الذي نعـدهم))** لأجـل أن تقر عينه بذلك, فإذا أصيب أعدائنا بخسف أو صـواعق أو فيضـانات أو ما أشبه ذلك وفرحنا بهذا فلا لوم علينا لأنهم أعداءنا يفرحون بمـا يصـيبنا فالجزاء من جنس العمل.

ومنها إثبات رجوع الخلق إلى الله لقوله: **((فإلينـا يرجعـون))** وهـذا عام في كل شيء في الأحوال والأوقات وفـي كـل شـيء, المرجـع إلـى الله وحده.

ثم قال عـز وجـل : **((ولقد أرسلنا رسـلا مـن قبلـك منهـم مـن قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك))** الجملة هذه مؤكـدة بثلاثة مؤكدات: اللام وقد والقسم المحذوف, والتقدير: والله لقد أرسلنا رسلا من قبلك, والرسول: هـو بشـر يـوحى إليـه بشـرع ويـؤمر بتبليغـه, ولهذا سمي رسولا, أي: مدفوعا من قبل الله عز وجل ليبلغ, وأمـا النـبي فإنه بشر أوحي إليه بشرع ولكن لم يكلف بتبليغه, بمعنى أنه يجدد شـرع من قبله ـ إن كان قبله رسول ـ حتى يحيي هِمم النـاس فيقتـدوا بـه؛ وإذا لم يحتج الناس إلى رسول لم يرسل إليهم أحـدا, فـإن آدم عليـه الصـلاة والسلام فإنه كان نبيا ولم يكن رسولا, هو نبي يتعبد لله تعالى بما أوحـاه الله إليه, ولكن لم يرسل لأن الناس لم يختلفوا بعد كما قال الله تعالى : **((كان الناس أمة واحدة فعبث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكـم بيـن النـاس فيمـا اختلفـوا فيه))** فالرسل إنما أرسلوا بعد الاختلاف, ولهذا قـال بعـض أهـل العلـم أن تقدير الآيـة الكريمـة: كـان النـاس أمـة واحـدة فـاختلفوا فبعـث اللـه النبيين مبشرين, وقال: إن في الآية إيجاز حذف, أي حـذف منهـا مـا دل السياق على حذفه, على كل حال الرسول: بشر أوحي إليه بشرع وأمـر بتبليغه.

((ولقد أرسلنا رسلا من قبلك)) وهؤلاء الرسل كانوا يرسلون إلى أممهم فقط كما ثبت ذلـك فـي الصـحيحين مـن حـديث جـابر: **(وكان**

النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) ((وما من أمة إلا خلا فيها نذير)) كما قال الله عز وجل, كل أمة أرسل الله إليها رسولا لتقوم الحجة **((منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك))** من: هذه تبعيضية, أي: بعضهم قصصناهم عليك وأخبرناك بهم, وبعضهم لم نقصص عليك, قال أهل العلم: وإنما قص الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من كانوا من الجزيرة وما حولها, لأن أخبار هؤلاء له بقية في العرب, فلهذا قصه الله, أما من كانوا في أمريكا أو في شرق آسيا أو ما أشبه ذلك من الأماكن البعيدة فهؤلاء لم يقص علينا من نبئهم شيء.

" ((منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)) روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي: أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس " وجدير بالمؤلف رحمه الله أن يقول روي بصيغة التمريض, لأن هذا لا يصح, كيف يكون من بني إسرائيل وهم متأخرون عن أمم كثيرة أربعة آلاف, ومن سائر الناس أربعة آلاف, هذا بعيد, بل إن الله أرسل في كل وقت وحين ما تقوم به الحجة.

وهل لنا أن نبحث عن عدد هؤلاء ؟ لا, وإن قلنا لنا فإنه ليس علينا, يعني لو قيل: لنا أن نبحث للاطلاع لم يكن سائغا أن نقول علينا أن نبحث؛ بل نقول: آمنا بالله وبرسله, من علمنا منهم ومن لم نعلم.

قال : **" ((وما كان لرسول)) منهم ((أن يأتي بآية إلا بإذن الله)) لأنهم عبيد مربوبون "** قوله: **((وما كان))** ما: نافية, وكان: فعل ماضي ناقص, ولرسوله: خبره, وأن يأتي بآية: اسم كان, أي: وما كان إتيان أحدهم بآية إلا بإذن الله نعم.

((وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله)) يعني أن الرسل عليهم الصلاة والسلام آتاهم الله آيات, لكن هل هم الذين يملكون هذا ؟ لا, هذا من عند الله, ولكن الله تعالى بين أنه ما من رسول إلا وأوتي آية: **((لقد أرسلنا رسلنا بالبينات))** يعني بالآيات البينات, حتى يؤمن البشر, وحتى لا يكون لهم حجة عند الله, لأن الله لو بعث رسولا هكذا إلى الناس, وقال: إني رسول الله, ولم يأتي بآية, فإن الناس لن يقبلوا منه, وإلا لأمكن لكل كاذب أن يدعي الرسالة, لكن لابد من آيات, آيات بينات أيضا, واضحة على أنه رسول, ومع هذا لا يمكن لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله.

((**إلا بإذن الله**)) الإذن الكوني, إذا أذن الله كونا أن يأتي الرسول بآية أتى بآية, والرسول قد يأتي بآية ابتداء, وقد يأتي بآية بطلب من المرسل إليهم, كما جاء في الحديث الصحيح أن قريشا قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام: أرنا آية, فأشار إلى القمر فانفلق فلقتين إحداهما على الصفا والثانية على المروة, وشاهد الناس ذلك, ولكن مع ذلك: **((إن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر))** قالوا: إن محمد سحرنا والقمر لم يتصدع, ولكن لما لم يعينوا الآية التي طلبوها لم يآخذوا بالعقاب, لأن الأمم إذا عينوا الآية التي طلبوها ثم لم يؤمنوا عاجلهم الله بالعقوبة.

((وما كان لرسول أن يأتي بآية)) أي علامة على صدقه **((إلا بإذن الله))** وهنا قال: آية ولم يقل: بمعجزة, وقد جرى على ألسنة كثير من العلماء رحمهم الله تسمية آيات الأنبياء بالمعجزات, ولكن هذه التسمية غير سديدة, بل الأولى أن نعبر بآية, نقول: آية النبي ولا نقول معجزة:

أولا: لأن هذا هو التعبير القرآني.

وثانيا: لأن المعجزة تأتي من الرسول, وتأتي من الساحر, وتأتي من الشياطين, يأتي من هؤلاء ما يعجز عنه البشر, فالتعبير السليم أن نعبر بآية:

أولا: لموافقة القرآن.

والثاني: لأن المعجزة تكون من الرسول وغيره.

والثالث: أن كلمة آية فيها إشارة إلى أن ما جاء به هذا الرسول مما يعجز البشر آية علامة, فهذه ثلاثة أشياء تبين رجحان التعبير بآية على التعبير بمعجزة.